

سؤال ينتظر الجواب

لمهندس كبير

تأتينا مياه النيل سنة بعد أخرى بطريقة منتظمة متكررة ، إلا أن مقدار ما يصلنا منها يختلف في الأوقات المختلفة من السنة نفسها كما يختلف من سنة لأخرى . ولنا هنا بعدد البحث في أسباب هذه الاختلافات الموسمية أو السنوية أو معرفة النتائج التي ترتب عليها لأن هذا معناه دراسة نظم الري بالقطر المصرى .

ولكننا بعد أن نلقت النظر إلى ناحية واحدة من هذا الموضوع وهي الملاحظة في تنفيذ المشروع الذي يدفع خطر الفيضانات العالية . إن إلحاحنا التي نتكبد بها من جراء هذه الفيضانات العالية الخطرة ليست بالقدر اليسير الذي يمكن إهماله أو غض النظر عنه لأنها ليست قاصرة على ما يصيب هؤلاء الذين يطغى عليهم الفيضان فيكتسح زراعاتهم ويحرمهم أرزاقهم ويمدهم أفواتهم ، بل إن الحكومة تخسر ما تحصله من أموال هذه الجهات المنكوبة كما تتحمل بصروفات أخرى كبيرة فيما تتخذه من إجراءات لدرء خطر هذه الفيضانات وهذا بجانب ما يستجوز على الأمة من قلق واضطراب إن مشروع انتقاء الفيضانات العالية تدرسه الجهات المختصة ؛ وقد حصل الدارسون على معلومات وأبحاث كثيرة يدى بدرسها ، ولكننا نتساءل ألم تكن هذه المدة كافية للوصول إلى نتيجة يصبح أن تكون أساساً لقرار يتخذ ؟

ثم هيئات أن تقلل هذه النقدرات من خطر تلك المؤلفات . وإلا . فإن فيا ألفه السابقون كتاب كالإتقان للسيوطي ، أو شرح البخاري ومقدمته لابن حجر ، أو الفتاوى لابن تيمية ، أو المدارج لابن القيم أو المنى لابن هشام ، أو الجروع للنووي ، أو تكملة لتلق السبكي ، أو الخطط للقريري . بل أين مثل ما كتبه مؤرخ مصر في تاريخها وتاريخ أعلامها من أمثال الإدقوى وابن خلكان والتاج السبكي وصاحب الدرر ، وأبي المحاسن والصفدي ، وابن إياس والسخاوي . بل أين الموسومات التي تشابه موسومات القلقشندي والنويري وابن منظور وابن فضل الله ؟

وبعد فهذا غيض من فيض ، وقل من كثير ، ولغة خاطفة من شمس ضاحية ، وقبس عاجل من سراج وهاج .

(حلوان) محمود رزق سليم

إن هذه الفيضانات العالية الخطرة ليست خاصة بنيلنا وحده ، لأن هناك كثيراً من الأنهر في البلدان الراقية تفيض على الأودية التي تجري فيها وقد كانت فيما مضى سبباً في نكبات ساحقة وكوارث ماحقة ، ولكنها عولجت على النحو الذي منع حدوثها أو حد من شدتها . وليس من الميسور أن نذكر هذه الطرق الفنية المختلفة التي تكيفت تبعاً لظروف كل حالة منها على حدة ، ولكننا نعلم أن وجهة النظر الفنية في مصر تتجه إلى تصريف مياه الفيضان في موقع منخفض قريب من مجرى النهر يتسع لاستيعاب هذه المقادير الكبيرة من مياه الفيضان ؛ على أن تحفر قناة لتصل النهر بهذا المنخفض ، فكيف لا يقرر إلى الآن أين يكون هذا المنخفض وصيانة القناة وغير ذلك وما هي النفقات التي يطلبها تنفيذ المشروع ؟ إننا لا نجد سبباً يبرر هذا التأخير غير ما سمعناه من أن ملفات هذا الموضوع تظهر وقت وقوع الكارثة حتى إذا ما مرت اختفت هذه الملفات لتظهر مرة أخرى عند حدوث الكارثة التالية . إن في الولايات المتحدة حالة في وادي التيس تشبه حالتنا ، قد كانت الأمطار الغزيرة والسيول المدمرة تكتسح الوادي من وقت لآخر فتملك الزرع ونجرف معها تربة الأرض نفسها فتتركها جرداء لا تصلح للزراعة إلا بعد مشقة ، وتبع ذلك حتماً أن عاش سكان هذا الوادي في ذعر مستمر يحاربون الطبيعة ولا معين ، ويتلقون النكبات ولا منفذ ، إلى أن قام أولو الأمر فنفذوا المشروع المناسب لمواجهة هذه الحالة فحفروا القنوات لحصر جريان الماء حيث يريدون ، وأقاموا الخزانات والسدود ، وأنشأوا الجسور فخلقوا من الذعر طمأنينة ، ومن البؤس والفقر سعادة وثرأ ، وأصبحت هذه الجهات جنات خضراء يعيش أهلها الآن في نعيم مستديم . وزيادة على ذلك فقد أمكن توليد القوة المحركة من مساقط المياه فيها فزادها رفاهية وخيراً عمياً . أما نحن فسوف أتينا الفيضان الخطر التالي ونحن كما نجدنا الآن ! فهل هذا يجوز ؟

إذا كان هناك من الأسباب ما يبرر هذا الإبطاء أو التأجيل فلينبعثنا به أولو الأمر إذا كانت الصعوبة مالية أو فنية حتى لا تصبح عرصة للوم أو التنديد .

إننا نريد أن تثبت للشعب أن الرجال الذين يشرفون على شئونهم ساهرون على مصالحته يعملون على إصلاح هذه الشئون . وهذه واحدة من عدة مسائل أخرى أرى ضرورة الكتابة عنها إذا ما أردنا الخير لهذه البلاد .

« صهرنس »